

خطبة الجمعة - الخطبة ٦٣٣ : خ١ - الضرورات تبيح المحظورات (٣) حدود هذه
الضرورات ، خ٢ - العدالة وما يجرحها .)

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٧-١٠-٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله نحمده ، ونستعين به ونسترشده ، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسیئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له ولينا مرشدًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن وآله ومن تبعه إلى يوم الدين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علمنا ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنـه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

الضرورات تبيح المحظورات :

أيها الإخوة الكرام ؛ لا زلنا في موضوع الضرورة ، وقد بينت في خطب سابقة ، أن هذه القاعدة الأصولية ، وهي أن الضرورات تبيح المحظورات ، توسع الناس في فهمها توسيعاً غير معقول ، حتى ماعت ، وساحت ، بل وتخررت ، وأصبحت هذه القاعدة ذريعة إلى أي خرق لحدود الله ، ذريعة إلى ارتكاب المحظور ، ذريعة إلى أكل المال الحرام .

للضرورة حدود دقيقة جداً ، وهو أنها إذا قد وصلت في هذا الموضوع المتسلسل إلى أصل الضرورة في الكتاب والسنة ، وإلى حدودها الدقيقة كما رسماها الفقهاء العاملون .

الآيات التي تتحدث عن الضرورة :

أيها الإخوة الكرام ؛ في القرآن الكريم خمس آيات فقط تتحدث عن الضرورة .

الآلية الأولى :

قال تعالى :

﴿إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمْ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة البقرة]

الآية الثانية :

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُّعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبَحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْقِسُمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقُ الْيَوْمِ يَئِسَ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشُونَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة المائدة الآية : ٣]

قبل أن أتابع الآية .

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

الكمال نوعي .

﴿وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾

الإنتمام عددي ، أي أن مجموع القضايا التي عالجها الدين تم ، وأن طريقة المعالجة كاملة ، فأية إضافة ، أو أي حذف هو اتهام ضمني للدين بالنقص أو الزيادة .

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

هذه الآية الثانية .

الآية الثالثة :

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْقُوْحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فِإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٤٥]

دقوا في كلمة :

﴿أَوْ دَمًا مَسْقُوْحًا﴾

هذا كلام خالق الكون ، الدم في الإنسان يظهر عن طريق الكليتين ، ويظهر عن طريق الرئتين ، ويظهر عن طريق الغدد العرقية ، فثلاثة أجهزة لتصفية الدم ، الرئتان تنقي الدم من غاز الفحم ،

والكليتان تنقى الدم من حمض البول ، وكذلك الغدد العرقية ، أما إذا كان دماً مسفوحاً صار نجساً

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَبْيَتًا أَوْ دَمًا مَسْفُوهًا أَوْ لَحْمَ حِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٤٥]

هذا الشرع العظيم كما قلت في الخطبة السابقة ، الشريعة مصلحة كلها والمصلحة لها ضوابط ، والشريعة عدل كلها ، والعدل غير المساواة ، والشريعة رحمة كلها ، والشريعة حكمة كلها ، فأي قضية خرجت من الرحمة إلى خلافها ، من الحكمة إلى ضدها ، من المصلحة المفسدة فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل .

هذا دين الله عز وجل ، هذا دين خالق الكون ، هذا دين الخبير ، هذا دين الرحيم ، الله عز وجل علمه مطلق ، وقدرته مطلقة ، وحكمته مطلقة وخبرته مطلقة ، وقال تعالى :

﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوْ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوْا مَا اسْتَجَابُوْا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُوْنَ بِشَرِّكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر الآية : ١٤]

الآية الرابعة :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٧٣]

الآية الخامسة :

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرْرُتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضْلُلُنَّ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١١٩]

السنة المطهرة :

أيها الإخوة الكرام ؛ لأن الله عز وجل قال :

﴿ وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاتَّهُوا ﴾

ولأن السنة مصدر ثانٍ للتشريع ، فقد أضاف النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع ، وأكل كل ذي مخلب من الطير ، ونهى يوم خير عن لحوم الحمر الأهلية ، ونهى عن تناول كل شيء فيه ضرر .

حقائق علمية :

هناك تعليق علمي ، الإنسان حينما يكون جائعاً جوحاً شديداً جداً ، وهو على مشارف الموت ، إن جهازه الهضمي يمكن أن يهضم أي شيء ضار . حتى الضرورات التي أباحت المحظورات لها تفسير علمي . سأل رجلاً من أهل العلم ، لماذا نزكي الحيوان ؟ نذبحه ليخرج الدم منه لأن الدم نجس . سأله فما بالنا نأكل السمك من دون ذبح ؟ ! إن كانت القضية متعلقة بحقيقة علمية كيف لا يُبيح لنا السمك من دون ذبح . وإن كانت القضية لا علاقة لها بالعلم فماذا نُقنع الناس إذا أثبتوا أنه لا ضرر من أكل ذبحة لم تُذبح ؟ .

أيها الإخوة الكرام ؛ المؤمن الذي آمن بالله عز وجل خالقاً ومربياً ومسيراً ، المؤمن الذي آمن بحكمة الله المطلقة ، يكفيه أن يقال له إن الله حرم عليه هذا ، حتى إن بعض العلماء كان في بلد عربي ، وهو يقنع المسلمين هناك في حكمة تحريم لحم الخنزير ، تكلم وأفاض ، وشرح وبين وفصل ، فقام أحدهم ، وقد أسلم حديثاً ، وتغلغل الإسلام في أعماقه ، قال : يكفيك أيها الأستاذ الجليل أن تقول لنا : إن الله حرم علينا لحم الخنزير ، لأن علة أي أمر إلهي هو أنه أمر أو نهي . ولكن اكتشف العلماء أيها الإخوة أن السمكة حينما تصطاد ينتقل دمها كله إلى غلاصمها ، وكأنها ذُبحت .

حتى الضرورات التي تبيح المحظورات ، وحتى الاستثناءات لها تعليل علمي دقيق يأخذ بالأدلة .

ولكنَّ الانتفاع في شيء ليس أحد فروع العلم به ؛ بمعنى أنك لو أخذت الأمر وطبقته دون أن تدري حكمته ، ولو تركت النهي وابتعدت عنه دون أن تعي تفاصيل ضرره نقطف الثمار كلها دون أن نصل إلى تفاصيل الشيء ، ولكنك إذا أردت أن تدعوا إلى الله عز وجل إنك تحتاج إلى بعض التعديلات وبعض المفهومات ، كيف أن إنساناً أمي لا يقرأ ولا يكتب يضع يده على زر مكيف ويأتيه الهواء البارد وينتفع به أشد الانتفاع دون أن يعي طريقة التبريد ولا مبدأ الغاز ، ولا آلية العمل ، إن الانتفاع بالشيء ليس أحد فروع العلم به ، إنك إن طبقت الشريعة قطفت كل ثمارها ، فأنت عابد ، أما إنك إن عرفت التحليلات الدقيقة ، والعلل الحقيقة ، واستطعت أن ترد على الأدلة المعارضة فأنت عالم ، وفرق بين العالم والعبد .

مفهوم الضرورة :

الضرورة كما قالها العلماء مشتقة من الضرر الناجم بما لا مدفع له (ليس له دافع) . والضرورة خوف الضرر ، هي ضرر واقع أو ضرر متوقع .. خوف الضرر أو الهلاك على النفس أو بعض الأعضاء .

والضرورة في المخصصة ، لو امتنع الإنسان عن تناول الطعام يخاف تلف نفسه أو أحد أعضائه . والضرورة أن يصل المرء إلى حد إن لم يتناول الممنوع هلاك ، أو قارب على ال�لاك . والضرورة عند المالكية ؛ الخوف على النفس من الهلاك ، علمًا ؛ أي قطعاً ، أو ظنًا ، أو غلبة الظن .

و عند الشافعية ، من خاف من عدم الأكل على نفسه موتاً أو مرضًا أو زيادة في المرض ، أو طول مدته ، أو انقطاعه عن رفائه ، أو خوف ضعفه عن المشي ، ولم يجد حلالاً يأكله ، ووجد محرماً يباح له أكله .

وبعض العلماء المعاصرين يقول : الخشية على الحياة ، إن لم يتناول المحظور ، أو الخشية من ضياع المال كله ، أو تهديد مصلحته الضرورية ، ولا تدفع إلا بتناول محظور لا يمس حق الغير .

وفي بعض التعريفات ؛ أن يهلك الإنسان هو وأهله جوعاً أو عريًا أو تشرداً .
وهناك تعريف يجمع كل أطراف الضرورة ؛ هو أن تطأ على الإنسان حالة من الخطر أو المشقة الشديدة ، بحيث يخاف حدوث ضرر أو يخاف أذىً في النفس ، أو بالعضو ، أو بالعرض ، أو بالعقل ، أو بالمال وتواضع المال ، ويتعين أو يباح عندئذ ارتكاب الحرام ، أو ترك الواجب ، أو تأخيره عن وقته ، دفعاً للضرر في غالب ظنه ضمن قيود الشرع ، هذا تعريف من أجمع التعريف على الضرورات .

أما الناس وسعوا هذه القاعدة حتى صار الإنسان إذا اضطر إلى مكيف في الصيف يشتريه بمال مشبوه ، أو بقرض ربوبي ويقول هو ضرورة هذا الذي أريد أن لا يكون في المسلمين .

ضوابط الضرورة :

أيها الإخوة الكرام ؛ أدق ما في هذا الموضوع ضوابط الضرورة .

١-أن تكون الضرورة قائمةً لا منتظرةً ، لا بعيدةً ، أن تكون الضرورة قائمةً ، بحيث يحصل في الواقع خوف هلاك أو تلف على النفس أو المال ، وذلك بغلبة الظن بحسب التجارب ،
٢-أو أن يتحقق المرء من وجود خطر حقيقي على إحدى الضروريات الخمس ..

الضروريات الخمس هي :

١- الحفاظ على الدين .

- ٢- الحفاظ على النفس .
- ٣- الحفاظ العرض .
- ٤- الحفاظ على العقل .
- ٥- الحفاظ على المال .

الشائع السماوية جاءت لتحفظ هذه الضرورات الخمس ، لذلك نبدل النفس رخيصة من أجل الحفاظ على الدين ، وهذا هو الجهاد ، وقد ندب عن أعراضنا بأموالنا ، وقد يباح للمرأة أن تكشف عن جسمها للطبيب صوناً للنفس ، فهناك ضرورات خمس الشرع كلها يسعى لصونها ، والحفظ عليها ، الدين ، النفس ، العرض ، العقل ، المال .

لذلك يجوز من أجل الحفاظ على هذه الضرورات العمل بالقاعدة الاستثنائية التي هي مناط خطبة اليوم (الضرورات تبيح المحظورات) .

شيء آخر أيها الإخوة :

٣- إذا تعارضت مفسدتان رُوعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أحدهما ؛ فسدتان واقutan ، لابد من أن تقع إحداهما ، ماذا نعمل ؟ نراعي أشد هاتين المفسدتين ، ونرتكب أخف هاتين المفسدتين ، وهذا مبدأ في الشريعة .

هذا إنسان ، إما أن يخطف زوجتك ، وإما أن يأخذ كل مالك هناك مفسدتان واقutan ، انتهاك العرض ، أو سلب المال ، أيهما أخف ضرراً ؟ سلب المال ، هذه قاعدة ، لكن تطبقها في أحوال كثيرة فليس الفقيه هو الذي عرف الخير ، ولا الذي عرف الشر ، ولكنه الذي عرف الشرين ففرق بينهما ، واختار أهونهما ، وفي بعض الأزمنة الصعبة يحتاج الإنسان أن يوازن بين الشرين ، وبين المفسدتين ، وبين الضررين فيتجنب أشدهما بارتكاب أخفهما .
أيها الإخوة الكرام ؛ الضابط الأول لقاعدة الضرورات تبيح المحظورات .

القاعدة الأولى :

أن تكون الضرورة قائمة واقعة ، وليس متخيلاً ولا منتظرة .

القاعدة الثانية :

حينما يتغير على المضطر أن يخالف الأمر أو أن يقع في النهي يجب ألا يكون لدفع هذا الضرر وسيلة أخرى .

إذا كان هناك وسيلة أخرى مباحة لا يُباح له أن يقع فيما نهى الله عنه أو أن يترك ما أمر الله به .
إذا كان هناك من يقرضه قرضاً حسناً لا يجور له أن يقترب قرضاً ربوياً .

إذا كان هناك بديل مباح أو بديل حلال ، إذا كان هناك من يطعنه ، لا ينبغي أن يأكل لحم خنزير .

إذا كان هناك من يستطيع أخذ ماله ، ثم أن يطلب مسامحته لا ينبغي أن يشرب الخمر عند شدة العطش .

حينما يتغير على المضطر مخالفة الأوامر أو النواهي يجب أن لا يكون لدفع الضرر وسيلة أخرى من المباحثات ، حتى لو كان هذا الشيء الذي هو بديل المحرم مملوكاً للغير ، ينبغي أن تشتريه منه ، بنقد عاجل أو مؤجل ، أو أن يبذل له .

القاعدة الثالثة :

هناك حالة ثلاثة ؛ هناك شيء محرم ، وهناك شيء مباح ، ولكن هناك إكراه ، أو تهديد أو وعيد بقتل أو تلف عضو ، في الحالة الثالثة فيها تهديد ، عندئذ نقول له الضرورات تبيح المحظورات ، هناك شيء محرم مأمور أن يأكله وهناك إلى جانبه شيء مباح حلال ، ولكن قوة قاهرة تهدده ، ويغلب على ظنه أنها تفعل ما تقول .

أيها الإخوة الكرام ؛ شيء آخر حينما يكون التهديد بالموت ، أو تلف بعض الأعضاء أو العجز عن المشي والهلاك ، أو الانقطاع عن الرفقاء والهلاك ، أو العجز عن الركوب والهلاك ، هذه ضرورات تبيح المحظورات .

القاعدة الرابعة :

لكن القاعدة الرابعة وهي دققة جداً : هو أن هذا المضطر ينبغي أن لا يخالف بحال مبادئ الشريعة الأساسية في حفظ حقوق الآخرين ، فليس هناك قتل بالضرورة ، لأنه لابد من أن تزهد إحدى النفسيين ، لا يجوز أن تحفظ نفسك بتضحية بنفس أخرى ، فالقتل والزنى والكفر والغصب إذا كان هناك خيار صعب بين أن يُغتصب المالك ، أو أن يُغتصب مال أخيك تقول : أنا مضطر ، تلافيت غصب مالي بإتاحة الغصب لغيري ، لا .. غصب المال إذا كان الخيار لمالك ، أو مال أخيك ، أو العرض ، أو الكفر ، أو القتل ، هذه مبادئ الشريعة الأساسية ، حفظ الدين ، والنفس ، والعرض ، والعقل ، والمال .

هناك ضرورات تبيح المحظورات في الأحكام الشرعية .

أما في المقاصد الأساسية ، العلماء قالوا : ما خالف قواعد الشرع لا أثر في الضرورة فيه . ما خالف قواعد الشرع ، كثير ما يتلافى الإنسان إتلاف ماله بإتلاف مال غيره ، هذه ليست ضرورة ، لابد من أن يتلف أحد المالين ، مالك أولى ، أن تتلف بصيانته مال أخيك ، لابد من أن يُقتل أحد الرجلين لا يمكن أن تتلافى موتك بمорт أحٖ مؤمن .

أن يقتصر ما يباح تناوله للضرورة على الحد الأدنى .. إذا كانت لقمة تكفيك ، ينبغي أن تكتفي باللقمتين ، إذا كانت شربة تكفيك أو شربتان ينبغي أن تكتفي بالشربة أو الشربتين .

أن يقتصر ما يباح تناوله للضرورة على الحد الأدنى أو القدر اللازم ، لأن إباحة الحرام ضرورة ولا ضرورة تُقدر بقدرها ، على الحد الأدنى .

أما في أمور الصحة ، هذا الذي يتعلق بأي نصيحة من أي طبيب العلماء نصوا : على أنه لابد من أن يكون الطبيب مسلماً حاذقاً ورعاً عدلاً ثقةً في دينه وفي علمه .
هذا الذي يقول لك أفتر في رمضان .

هذا الذي يقول لك : لا يجور لك أن تذهب إلى الحج لأن جسمك لا يتحمل .

هذه النصائح التي يأخذها عامة المسلمين من أي طبيب غير ملتزم ، لا يعرف حدود الشرع ولا قيمة العبادات ، هذه ليست ضرورات ..

الطبيب المسلم الحاذق الورع العدل الثقة في دينه وعلمه هو الذي تعد نصيحته ضرورة ملحة لترك بعض العبادات .

لكن بعض الناس على ظنهم الضعيف أو على وهمهم أو على استشارة طبيب متفلت ، أو طبيب غير مسلم ، يفطر في رمضان ، يترك فريضة أساسية .

في أمور الطعام والشراب عند بعض العلماء لابد من أن يمر يوم وليلة دون أن يجد الإنسان ما يتناوله من المباحثات ، أما لتوهم الضرورة يأكل الحرام ، لابد من أن تمضي يوم وليلة بأكملها ، وليس في بيته شيء يأكله .

هناك رأي آخر : حينما يحمله الجوع على أن يعجز عن المشي هذه ضرورة ، بينما يحمله الجوع على أن ينقطع عن رفاقه فيهـاك ، أو أن يعجز عن الركوب فيهـاك ، هذه الضرورات تبيح المحظورات .

ما ذكرت هذا الموضوع إلا لأنني وجدت كثيراً من الناس ، يتعلّقون بأتفه الأسباب ، وأضعف العلل ، فيبيحون لأنفسهم ما حرمه الله عز وجل ، وهم يقولون ضرورة ، يسافرون ، ويختالطون ، وينتهكون حرمات الله ، ويعتدون على شرع الله ، ويأكلون المال الحرام تحت غطاء من الضرورات تبيح المحظورات ، هذه القاعدة ماعت ، وساحت ، وسالت ، وتبخرت ، وأصبحت ذريعة إلى المعاصي والآثام ، لا تقل ضرورة ، الضرورة هذا تعريفها ، وهذه حدودها ، والشرع حكيم ، وهو من عند رب العالمين ، والشرع لكل الناس أجمعين ، يسع حالاتهم السوية والاستثنائية ، يسع حالاتهم اليسيرة والعسيرة ، لأنه منهج إلهي ودستور ربانية ، لابد من أن يسع كل الحالات .

فاسألو أهل الذكر :

أيها الإخوة الكرام :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الأنبياء الآية : ٧]

أنت ماذ تفعل ؟ حينما تشير رجلاً تثق بعلمه وورعه ، ماذ فعلت بهذا السؤال ، أنت أخذت كل علمه بسؤال لطيف ، إنك لن تستطيع أن تسأل أصحاب الخبرة في الدنيا إلا بأجر إلا بتعويض إلا باتعاب ، لن تستطيع أن تدخل على طبيب إلا والأجر بجييك ، لكنك إذا ذهبت إلى من تثق بعلمه وورعه فسألته .

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الأنبياء الآية : ٧]

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾

[سورة الفرقان الآية : ٥٩]

لماذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وهو السيد المعصوم لماذا أمر نبيه أن يشاور أصحابه ، قال تعالى :

﴿ فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا لِّلْقَبْ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١٥٩]

أنت بالسؤال تستغير عقول الرجال ، والناجحون في الحياة يستشرون من هم أقل منهم سناً ، من هم أضعف منهم خبرة ، لأن الإنسان تحت ضغط الضرورة الموهومة قد يختل توازنه ، فإذا سأله إنساناً ليس خاضعاً لهذا الضغط يعطيه الفكرة الصحيحة .

الناجحون بأعمالهم يكترون استشارة من حولهم ، لأن المستشار مؤمن ومن استشير فليشر ما هو صانع لنفسه ، عود نفسك أيها الأخ الكريم أن تسأل ، مفتاح العلم السؤال ، دينك دينك ، إنه لحمك ودمك ، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا ، إن هذا العلم دين فانظروا عنم تأخذون دينكم .

أضع لكم هذه الحقيقة ذكرتها كثيراً ، في شأن الدين يكفي أن تسأل أي إنسان له زي ديني ، في أي جامع صغير يصلني إماماً ، تقول سأله فأفتي لي ، لماذا في أمر دينيك إذا أردت أن تبيع بيتك تسأل مئة دلائل لماذا في أمر دينك لم تتحقق من علم هذا الذي تسأله ؟ لم تتحقق من ورعه ؟ لم تتحقق من اختصاصه ؟ يكفي أنك سأله سؤالاً عابراً دون تفاصيل ، فأفتي لك ، فاتخذت هذا حجة ، وارتاحت نفسك ، لماذا لا تعامل دينيك كما تعامل آخرتك ؟ .. لماذا إن أردت أن تبيع بيتك

تسأل مئة دلال ، وتنظر ، وترى ، وتقول : دعوني أفك ، أعطوني مهلة ، هل يعقل أن يكون البيت أغلى عليك من دينك ؟ هل يعقل أن تكون دنياك أغلى عليك من آخرتك ؟ !

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَ عَلَى العَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾

[سورة الفرقان الآية : ٥٩]

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الأنبياء الآية : ٧]

في شأن أكثر الناس ماذا يفعلون ؟ يأخذون أرباحاً على أموالهم ثابتة وهي عين الربا ، من دون ما يسأل ، هذا الذي أخذ مالك لا يجري حسابات ، الحسابات متعبة ، يعطيك على الألف مبلغ ثابت ، ما الفرق بينهم وبين الربا ؟ سيان ، أكثر الناس لا يسألون ، وكأنهم يخافون إن سألوا أن لا تيسر أمورهم .

أعطي رجل أرض ، وفرح بها أشد الفرح ، وكاد يختل توازنه من الفرح ، ذهب إلى شيخه وقال هذه الأرض أعطيت إياها من أموال فلان ، من أراضيه الواسعة ، أعطيتها وأنا بإمكانني أن أتملكها ، فقال يابني هذه ليست لك هذه أرضاً مغتصبة ، وكان جمرة متقددة صب عليها كأس ماء ، أحبط هذا الإنسان ، فقد كل الأمل ، قال هذا مال حرام لا تأخذ ، قال ما الحل يا سيدي ، قال اذهب إلى صاحب الأرض لعله يبيعك إياها بأقساط بسيرة على أمد طويل ، بع ذهب زوجتك ، أعطته الدفعة الأولى ، هذا هو الطريق المشروع .

ذهب إليه ، قال يا سيدي ، أعطوني من أرضك عشرون دنماً ، فسألت شيخاً لي فقال : هي حرام ، فماذا أصنع ، قال يا أخي الكريم لم يفعل أحد مثلك ، هي هدية لك ، تملكها وهي حلال لك ، ازرعها واقطف ثمارها لقد سامحتك بها .

لأنه وقف وقفة متأنية ، لأنه طلب الحال ، فكانت له ، ما ترك عبد شيئاً لله ، إلا عوضه الله خيراً منها .

هذه الدنيا فانية ، سريعاً ما تتلاشي ، تذهب الدنيا ويبقى الحساب تذهب اللذائذ ، وتبقى التبعات ، تذهب المكاسب ، وتبقى نار جهنم .

أما الإنسان حينما يتحرى الحال يعينه الله سبحانه وتعالى على الحال .

أيها الإخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبو ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى خيراً علينا ، فلنأخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه ، و عمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتنسى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

* * *

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم .

العدالة وما يجرحها :

أيها الإخوة الكرام ؛ قال عليه الصلاة والسلام :

((من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، عاملهم فلم

يظلمهم ، فهو من كملت مروعته ، وظهرت عدالته ووجبت أخوته ، وحرمت غيبته))

هذه العدالة ، العدالة في الإنسان أن يكون ورعاً ، أن يكون مستقيماً فمن حدث فكذب ، سقطت عدالته ، من عامل فظالم سقطت عدالته ، من ائتمن فخان سقطت عدالته .

ولكنَّ العلماء أشاروا إلى أشياء كثيرة تجرح العدالة ؛ أكل لقمة من حرام ، يجرح العدالة ، تطفيف بتمرة ، تجرح العدالة ، من مشى حافياً من بال في الطريق ، من تحدث عن النساء ، من تنزه في الطرقات ، من أطلق لفربه العنان ، السرعات الزائدة ، من قاد بربوناً ، من صحب الأراذل ، من علا صياده في البيت ، هذه كلها تجرح العدالة .

الإنسان المؤمن شخصية فذة ، متميز ، الإيمان درجة علمية ، قيل : ما اتخذ الله ولِيَا جاهلاً لو اتخذه لعلمه ، درجة خلقية ، النبي عليه الصلاة والسلام أثني الله عليه فقال :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة القلم الآية : ٤]

ولا يمكن أن يكون المؤمن إلا على خلق ، وإلا ليس مؤمناً ، لأن حسن الخلق هو الإيمان ، عن أبو هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً قال يا رسول الله إن فلانة ذكر من كثرة صلاتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال :

((هي في النار))

[أخرجه البزار في مسنده والإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه]

فالإيمان مرتبة علمية ، ومرتبة أخلاقية ، ومرتبة جمالية ، فالمؤمن سعيد بقربه من الله ، سعيد بشعوره أن الله يحبه ، سعيد بطمأنينته بالمستقبل ، سعيد لأن الله وعده بالجنة :

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَا وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعَاهُ مَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٦١]

إن كنت مؤمناً حقاً لابد من أن تشعر أنك على علم ، وأنك على خلق وأنك على مستوى من التدقق الجمالي بعيد عن أن يكون في الناس .

إن الله يعطي الصحة والذكاء والقدرة والمال للكثيرين من خلقه .

هناك في العالم أغنياء يملكون أحدهم ثالثين مليار ، يسكنون في أجمل القصور يركبون أرفه المراكب .

إن الله يعطي الصحة الذكاء والقوة والمال والجمال للكثيرين من خلقه ، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصنفائه المؤمنين ، هذه السكينة خاصة بالمؤمنين ، قال تعالى :

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَإِيْهِ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأعجم الآيات : ٨٢ - ٨١]

لولا أن المؤمن يتمتع بميزات لا يمكن أن يمتلكها غير المؤمن لما كان للإيمان معنى ، قال تعالى :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوْنَ ﴾

[سورة السجدة الآية : ١٨]

﴿ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

[سورة القلم الآيات : ٣٥ - ٣٦]

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَا وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعَاهُ مَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٦١]

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرِزْنَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقُلُونَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٦٠]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت تبارك ربنا وتعالى ، لك الحمد على ما قضيت ، نستغفك ونتوب إليك .
اللهم هب لنا عملا صالحاً يقربنا إليك .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا ، وارض عنا .
اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين .

اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتكم عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك .

اللهم لا تؤمننا مكرك ، ولا تهلك عنا سترك ، ولا تتسلينا ذكرك يا رب العالمين .

اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمنا سخياً رخيماً
وسائل بلاد المسلمين .

اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من
عusal الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء .

اللهم كما أفررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأفرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين .

اللهم ما رزقنا مما نحب فاجعله علينا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا
فيما تحب .

اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام والمسلمين ، وأعز المسلمين ،
وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين